تفسير سورةُ الفرقان

من آية (35) إلى آية (43)

اللقاء السادس

المعنى الإجمالي من آية (30) إلى آية (34):

يقول تعالى: وقال الرَّسولُ لرَبِّه جَلَّ وعلا، مُشتَكيًا في الدُّنيا: يا رَبِّ، إنَّ الكُفَّارَ مِن قَومي تَركوا هذا القُرآنَ وأعرَضوا عنه فلا يُؤمِنون به، ولا يَعمَلون بأحكامِه.

ثمَّ يقولُ الله تعالى مسَلِّيًا نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم: وكما جعَلْنا لك -يا محمَّدُ- أعداءً مِن مُشرِكي قَومِك، كذلك جعَلْنا لكُلِّ نبيٍّ مِن الأنبياءِ أعداءً مِن الكُفَّارِ المشرِكين مِن أقوامِهم؛ فاصبِرْ كما صَبَروا، وكفى بربِّك -يا محمَّدُ- هاديًا وناصِرًا لك على أعدائِك.

ثمَّ يذكرُ الله تعالى أيضًا بعضَ شبهاتِ المشركينِ، فيقولُ: وقال الكُفَّارُ: هلَّا نزَّل اللهُ عليك -يا محمَّدُ- القُرآنَ دَفعةً واحِدةً لا مُفَرَّقًا؟ ويرُدُّ عليهم سبحانَه فيقولُ: كذلك نزَّلنا عليك القُرآنَ -يا محمَّدُ- مُفَرَّقًا؛ لنقَوِّيَ به قَلبَك، وتزدادَ ثَباتًا ويَقينًا، وجعَلْنا بَعضَه يَنزِلُ في إثْرِ بَعضٍ على تُؤَدةٍ وتمَهُّلٍ، وبيَّنَّاه تبيينًا.

ولا يأتيك هؤلاء المشرِكون بمَثَلٍ مِن الأمثالِ التي مِن جُملتِها اقتِراحاتُهم القبيحةُ، يُريدونَ به القَدْحَ في نبوَّتِك، إلَّا جِئْناك في مُقابَلتِه بالجوابِ الحَقِّ الثابتِ الذي يُبطِلُ شُبهَتَهم بأحسَنَ ممَّا جاؤوا به كَشفًا وبَيانًا.

ثمَّ يبيِّنُ الله تعالى سوءَ مصيرِهم، فيقولُ: الذين يُحشَرون يومَ القيامةِ مَسحوبينَ على وُجوهِهم إلى جهنَّمَ أولئك شَرٌّ مَنزِلًا ومَكانًا في جهنَّمَ، وأضَلُّ النَّاسِ عن طريقِ الحَقِّ.

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ﴿35﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال ابن حيان: لَمَّا تقَدَّمَ تكذيبُ قُريشٍ والكفَّارِ لِمَا جاء به رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ ذَكَرَ تعالى ما فيه تسليةٌ للرَّسولِ، وإرهابٌ للمُكذِّبينَ، وتذكيرٌ لهم أنْ يصيبَهم ما أصاب الأُممَ السَّابقةَ مِن هلاكِ الاستِئصالِ لَمَّا كذَّبوا رسُلَهم، فناسَبَ أنْ ذَكَرَ أوَّلًا مَن نزَلَ عليه كتابُه جُملةً واحدةً؛ ومع ذلك كفَروا وكذَّبوا به، فكذلك هؤلاء: لو نَزَلَ عليه القرآنُ دَفعةً لكَذَّبوا وكَفَروا كما كَذَّبَ قَومُ موسى

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أي: ولقد آتَينا موسى التَّوراةَ. موسوعة التفسير

(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) أي: وجعَلْنا مع موسى أخاه هارونَ مُعينًا له يُقَوِّيه ويؤَيِّدُه. موسوعة التفسير

من متع هذه الحياة الدنيا والمنن الربانية الكريمة: أن يكون للمرء أخوة أشقاء، أو من أحد أبويه يبرهم ويبرونه، ويسعدهم ويسعدونه، ويصلهم ويصلونه، الأخ رحم وصلة وقربى يبارك الله -تعالى- به حياة العبد، ويوسع له في رزقه، ويبسط له في عمره؛ الإخوان عضد ومعين وعون من الله -تعالى- على نوائب الدهر، وظلال يستظل به، وساعد يعتمد عليه، ألم تر كيف يشد الأخ ساعد أخيه ويؤازره، ويقف معه في السراء والضراء، وفي كل نائبة ومحنة وضائقة، وهو محل الثقة، ومكمن السر والستر، وهو أقرب من كل قريب، وأوثق وأودع من تودع عنده الأمانات والأثمان والمقيمات. إنه عضيد أصيل لا يلين ولا يتراخى ولا يتخلى ولا يدبر ولا يتولى؛ لأنه يعلم أن أخاه جزء منه، فلا يمكن أن يتخلى المرء عن أجزائه وأعضائه.

يحتاج الأخ إلى أخيه حتى في أصعب المهمات، وأثقل النازلات، فهذا موسى -عليه السلام- يحتاج للمعاون بعد الله -تعالى-، يعينه على تبليغ رسالة ربه، ويدفع عنه بلاء القوم، ويخفف عنه قسوتهم وكبرياءهم، فيسأل ربه -عز وجل- أن يجعل له ومعه أخاه هارون وزيرا، يقول: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) [طه: 25 - 36] فلم يطلب غير أخيه ليقينه وثقته في إخلاصه له، وبذل نفسه في نصرة أخيه، كما قال تعالى: وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا [مريم: 53].

أسف شديد على أقوام لا يقدرون الأخوة ولا يعرفون قيمة الأرحام ولا يعقلون تعاليم السنّة والقرآن، أخوة مقطعة، ونعم مهملة، ولعب ولهو وغفلة عن الله وآياته، أخوة بينهم شحناء وعداوة وبغضاء، وغلظة بينه وبين أخيه ابن أمه وأبيه ما لا يعلمه إلا الله من القطيعة، خيره كله مصروف للناس، وشره كله مجموع لإخوانه، أنيسه البعيد، وقعيده الصديق، ويحرم أخاه من جلسة ولقاء، وجوه عابسة لبعضها، وقلوب غليظة على بعضها البعض، وصدور ضيقة لعبت بينهم الزوجات السيئات والأهواء والشهوات، والدنيا والطمع والغرور والشيطان، نسوا الأرحام ووصية الرحمن بصلة الرحم، والتحذير من قطيعتها.

إن لم يكن في المرء خير لأرحامه والأقربين فلا خير فيه للأبعدين، إذا كان يبخل بالمودة والمحبة لمن هو جزء منه، ويمنع النفع عن حبيبه فلا يمكن أن ينفع الغير أو يقدم لهم خيراً ومسرة، وإذا قدمها فإنها مؤقته ومشكوك في خلوصها وصفائها، ولا تخلو من مصلحة. إن العيش الهنيء الرغيد في هذه الحياة أن يكون المرء ملتفتاً لدينه يعمل به وأصلاً لإخوانه وأرحامه، باذلاً معروفه أولاً لهم، حبيباً معهم، يأنس باجتماعهم معه، يستوحش لفراقهم، يتألم لمرضهم، ويسعد إذا نزلت بهم العافية والسلامة. محمد المريخي

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ ﴿36﴾

(فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي: فقُلْنا لموسى وهارونَ: اذهَبا إلى فِرعَونَ وقَومِه القِبطِ الذين كذَّبوا بأدِلَّتِنا وبراهينِنا. موسوعة التفسير

(فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) أي: فكذَّب فِرعَونُ وقَومُه موسى وهارونَ، فأهلَكْناهم بالغَرَقِ إهلاكًا. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ [الأعراف: 136، 137].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿37﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: لَمَّا هَدَّدَ سُبحانَه المكذِّبِينَ بإهلاكِ الأوَّلِينَ الذين كانوا أقوَى منهم وأكثَرَ، وقَدَّمَ قصَّةَ موسى عليه السَّلامُ- أتبَعَه أوَّلَ الأُممِ؛ لأنَّهم أوَّلُ، ولِمَا في عذابِهم مِن الهَولِ، ولِمناسبةِ ما بيْنَه وبيْنَ عذابِ القِبطِ، فقال

(وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً) أي: وأغرَقْنا قَومَ نوحٍ لَمَّا كذَّبوا نوحًا، وجعَلْنا إغراقَهم بالطُّوفانِ عِبرةً للنَّاسِ وعِظةً. موسوعة التفسير

لماذا جُعِلَ قومُ نوحٍ مكذِّبِينَ للرسُلِ مع أنَّهم كذَّبوا رسولًا واحدًا؟ قال القرطبي: أنَّ مَن كذَّب رسولًا فقد كذَّب جميعَ الرسُلِ؛ لأنَّهم لا يُفرَّقُ بيْنَهم في الإيمانِ، ولأنَّه ما مِن نبيٍّ إلَّا يُصدِّقُ سائرَ أنبياءِ الله، فمَن كذَّب منهم نبيًّا فقد كذَّب كلَّ مَن صدَّقه مِن النبيِّينَ.

قال القرطبي: (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً أي: علامةً ظاهرةً على قدرتِنا).

كما قال تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [الحاقة: 11، 12].

(وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) أي: وأعدَدْنا في الآخرةِ للظَّالِمينَ مِن قَومِ نُوحٍ وغَيرِهم عذابًا مُؤلِمًا مُوجِعًا؛ جزاءً على ظُلمِهم. موسوعة التفسير

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ﴿38﴾

(وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) أي: وأهلَكْنا أيضًا عادًا قَومَ هُودٍ، وثمودَ قَومَ صالحٍ، وأصحابَ الرَّسِّ، ودمَّرْناهم لكُفرِهم وتَكذيبِهم. موسوعة التفسير

وقال الشنقيطي: (وأمَّا أصحابُ الرَّسِّ فلم يأتِ في القرآنِ تفصيلُ قِصَّتِهم ولا اسمُ نبيِّهم، وللمفسِّرينَ فيهم أقوالٌ كثيرةٌ تركْناها؛ لأنَّها لا دليلَ على شَيءٍ منها).

كما قال تعالى: وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ [العنكبوت: 38].

(وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أي: ودمَّرْنا بين تلك الأُمَمِ الكافرةِ -التي سمَّيْناها- أُمَمًا أُخرى كثيرةً لا يعلَمُها إلَّا اللهُ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ [الأنعام: 6].

وقال سُبحانَه: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ [إبراهيم: 9].

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ ﴿39﴾

(وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) أي: وكلُّ الأُمَمِ الكافرةِ التي أهلَكْناها أقَمْنا عليها الحُجَّةَ، ووَضَّحْنا لها الأدِلَّةَ بذِكرِ الأمثالِ؛ لِيَعتبِروا بها ويتَّعِظوا. موسوعة التفسير

وقال ابن عثيمين: (يعني: بيَّنَّا له الأمثالَ، يعني: الوقائعَ التي أوقعَها الله تعالى بمَن قبْلَهم، كلُّ أمَّةٍ تُنذَرُ بمَن قبْلَها، ويُضرَبُ لها المثَلُ، يقالُ: هذا مَثَلُ المكذِّبين، حصَلَ عليهم كَيْتَ وكَيْتَ، فكُلُّ أمَّةٍ أنذرَها اللهُ تمامَ الإنذارِ، بحيثُ لا يبقَى لها حُجَّةٌ؛ أمَّةُ محمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وغيرُها).

(وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) أي: وكُلُّ الأُمَمِ الكافرةِ الماضيةِ دمَّرْناها تدميرًا كامِلًا، واستأصَلْناها بالعذابِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [الإسراء: 15 - 17].

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ ﴿40﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال ابن عاشور: لَمَّا كان سَوقُ خبرِ قَومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وأصحابِ الرَّسِّ وما بيْنَهما مِنَ القرونِ مقصودًا لاعتِبارِ قريشٍ بمصائِرِهم؛ نُقِل نَظْمُ الكلامِ هنا إلى إضاعَتِهم الاعتِبارَ بذلك وبما هو أظهَرُ منه لأنظارِهم، وهو آثارُ العذابِ الَّذي نَزَل بقريةِ قومِ لوطٍ

(وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) أي: ولقد مرَّ كُفَّارُ قُرَيشٍ على قَريةِ قَومِ لُوطٍ الذين أهلَكَهم اللهُ بالحِجارةِ التي أمطَرَها عليهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ [الشعراء: 173].

وقال سُبحانَه: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ [الحجر: 74 - 76].

(أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) أي: أفلم يكُنْ كُفَّارُ قُرَيشٍ يَرَونَ في أسفارِهم آثارَ عَذابِ اللهِ على قريةِ قَومِ لوطٍ، فيَعتَبِروا ويتَّعِظوا بما حلَّ بأهلِها مِن العذابِ؛ بسبَبِ تكذيبِهم بالرَّسولِ، ومُخالفتِهم أوامِرَ اللهِ. موسوعة التفسير

قال عزَّ وجلَّ: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [الصافات: 137، 138].

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) أي: ما كذَّب كفَّارُ قُرَيشٍ بمحمَّدٍ لكونِهم لم يَرَوا ما حلَّ بقومِ لوطٍ، وإنَّما كذَّبوا ولم يعتَبِروا؛ لأنَّهم لا يُؤمِّلون وقوعَ البَعثِ بعْدَ الموتِ، فلا يَرجونَ ثوابًا في الآخرةِ، ولا يخافونَ عذابًا فيها. موسوعة التفسير

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿41﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه مُبالَغةَ المشرِكين في إنكارِ نبوَّتِه، وفي إيرادِ الشُّبُهاتِ في ذلك؛ بَيَّنَ بعْدَ ذلك أنَّهم إذا رأَوُا الرسولَ اتَّخَذوه هُزُوًا، فلم يقتَصِروا على تَرْكِ الإيمانِ به، بل زادوا عليه بالاستِهزاءِ والاستِحقارِ

(وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) أي: وإذا رآك -يا محمَّدُ- كُفَّارُ قُرَيشٍ، لا يتَّخِذونَك إلَّا سُخريةً، فهم دائِبونَ على الاستِهزاءِ والسُّخريةِ بك. موسوعة التفسير

(أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) أي: ويقولُ كُفَّارُ قُرَيشٍ احتقارًا للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: أهذا الذي يزعُمُ أنَّ اللهَ أرسَلَه إلينا رسولًا مِن بينِ خَلقِه. موسوعة التفسير

قال السعدي: (وقالوا -على وجه الاحتقارِ والاستصغارِ-: أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا أي: غيرُ مناسبٍ ولا لائقٍ أن يبعَثَ الله هذا الرجُلَ! وهذا مِن شِدَّةِ ظُلمِهم وعنادِهم وقَلبِهم الحقائِقَ؛ فإنَّ كلامَهم هذا يُفهِمُ أنَّ الرَّسولَ -حاشاه- في غايةِ الخِسَّةِ والحقارةِ، وأنَّه لو كانت الرِّسالةُ لغيره لكان أنسَبَ!).

إنّ من أعظم ما يجب على الإنسان رعايته وصيانته: لسانَه؛ فإنّ اللسان أعظم ما يكون خطرًا، وأشدّ ما يكون ضررًا إذا لم يزمَّه العبد بزمام الشَّريعة، ولم يرعَ له الصِّيانة، ولم يعتنِ به، و "إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا".

ومن أعظم جرائم اللِّسان وأفظعها وأشدِّها وأشنعها: الاستهزاءُ بالله، أو بشيء من أسمائه وصفاته، أو بشيء من آياته جلّ وعلا، أو الاستهزاءُ بالرَّسول -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، أو بِشيءٍ مِمَّا جَاء عَنْه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الاستهزاءُ بالثَّواب الذي أعدّه الله للمطيعين، أو بالعقاب الذي أعدّه الله للكفرة والعاصين، فالاستهزاء بذلك أو بشيء منه ناقضٌ من نواقض الإسْلام، وكفرٌ بالله العليّ العظيم، ودليل

ذلك قول الله -تعالى-: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)[التوبة: 65-66].

إنَّ الاستهزاء وهي كلمة أو كلماتٌ يسيرة قد تصدر من الإنسان ولو كان لاهيًا لاعبًا مريدًا تمضية الوقت يكون بذلك هلاكه في دنياه وأُخراه، وكم من كلمةٍ قالها المرء لا يُلقي لها بالًا أوبقت له دنياه وأُخراه.

كما قال تعالى: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ [الأنبياء: 36].

وقال عزَّ وجلَّ: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف: 31].

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿42﴾

(إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) أي: يقولُ كُفَّارُ قُرَيشٍ: لقد أوشَكَ هذا الرَّسولُ أن يَصرِفَنا ويَصُدَّنا عن عبادةِ أصنامِنا بحُجَجِه وأدِلَّتِه، لولا أن ثَبَتْنا على عبادةِ آلهتِنا فتمسَّكْنا بها ولم نَقبَلْ دَعْوتَه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ [ص: 6، 7].

(وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أي: وسوف يعلَمُ الكُفَّارُ حين يرَونَ عذابَ اللهِ النَّازِلَ بهم مَن أخطأَ طريقَ الهُدى: هم أم محمَّدٌ الذي دعاهم إلى توحيدِ اللهِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (الأظهرُ أنَّ المرادَ عذابُ السَّيفِ النازِلُ بهم يومَ بدرٍ). (وقيل: يرونَ العذابَ في الدُّنيا والآخرةِ. وممَّن قال بذلك: البقاعي).

فيه وعيدٌ ودَلالةٌ على أنَّهم لا يَفوتُونَه وإنْ طالَتْ مدَّةُ الإمهالِ، ولا بدَّ للوعيدِ أن يَلحَقَهم؛ فلا يَغُرَّنَّهُمُ التَّأخيرُ.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿43﴾

(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أي: أرأيتَ -يا مُحَمَّدُ- مَنِ اتَّبعَ هواه، وانقاد إليه وأطاعَه. موسوعة التفسير

قال قتادة: "إن الرجل إذا كان كلما هوي شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه من ذلك ورع ولا تقوى؛ فقد اتخذ إلهه هواه".

قال بعض السلف: "شر إلهٍ عُبد في الأرض هو الهوى".

قال -ﷺ-:" إنما أخشى عليكم شهواتِ الغَيِّ في بطونكم وفروجِكم، ومُضِلَّاتِ الهوَى" صحيح الترغيب قال -ﷺ-:" ثلاث مهلكات؛ شُحٌّ مُطَاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعْجَابُ المرْءِ بِنفسِهِ" صحيح الجامع.

قال -ﷺ-:" فَوَاللَّهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى علَيْكُم، ولَكِنْ أَخشَى علَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ" صحيح البخاري.

(أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) أي: أفأنت -يا مُحَمَّدُ- تكونُ على مَنِ اتَّبع هواه حَفيظًا تمنَعُه مِن الضَّلالِ، وتَهديه إلى الحَقِّ؟! كلَّا؛ فليست الهدايةُ والضَّلالةُ موكولتَينِ إليك، وإنَّما عليك البلاغُ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [النحل: 37].

وقال سُبحانَه: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص: 56].

قال حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس -رضي الله عنه-: أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه، كان دينَه ومذهبَه ".